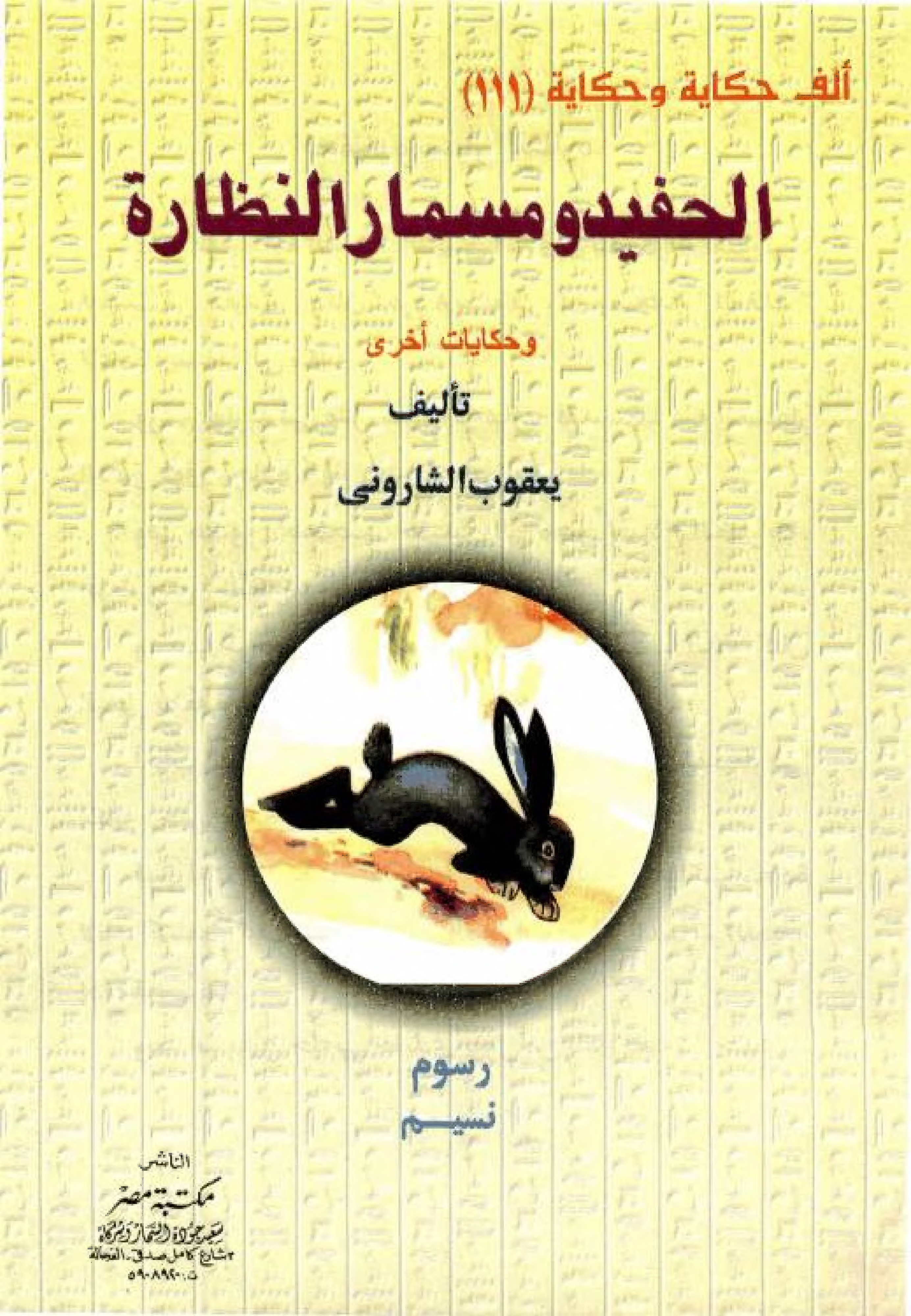

ألف حكاية وحكاية (١١١)
الحفيد ومسمار النظارة
وحكايات أخرى
تأليف
يعقوب الشاروني
رسوم
نسيم
الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت. ٥٩٠٨٩٢٠

الحفيد ومسمار النظارة

ذاتَ يومٍ سقطَ المسمارُ الدقيقُ الذى يربطُ ذراعَ نظّارتى ، فطلبْتُ من حفيدى ، وكان عمرُهُ ٨ سنواتٍ ، أن يستخدمَ " المفك " لإعادةِ المسمار إلى مكانِهِ .

ورغمَ مهارتِهِ فى مثلِ هذه الأعمالِ ، فقد سقطَ منه المسمارُ الدقيقُ فوقَ سجادةٍ مُلوَّنةٍ ، فلم نستطعِ العثورَ عليه .

وفى هدوءٍ ، اصطحبْتُ حفيدى إلى محلِّ إصلاحِ النظاراتِ ، حيث وضعَ " النَّظَّاراتى " مسمارًا آخرَ .

وعندما خرجْنا ، سألْتُ الصغيرَ : " هل لاحظْتَ ما الذى كانَ الرجلُ يضعُهُ تحتَ النظارةِ ، وهو يقومُ بإصلاحِها ؟ "

أجابَ الصغيرُ : " كانَ يضعُ مفرشًا أبيضَ وهو يثبّتُ المسمارَ فى مكانِهِ ، حتى يجدَهُ بسهولةٍ إذا سقطَ . "

قلْتُ له : " أنا سعيدٌ لأنك حاولْتَ إصلاحَ النظارةِ ، وأكثرُ سعادةً لأنك اكتشفْتَ كيف يتفادى صانعُ النظاراتِ ضياعَ المساميرِ الدقيقةِ إذا سقطَتْ منه . "

وبعد أسبوعَيْنِ جاءَنى حفيدى يقولُ من تلقاءِ نفسِهِ : " جدّى ..

أرجو أن تُعطِيَني نظارتَكَ ، لأقومَ بتثبيتِ مساميرِها قبلَ أن ينفصلَ ذراعُها ، كما حدثَ منذ أسبوعَيْن . "

قلتُ لنفسي : " لقد وجَّهْتُ الصغيرَ إلى طريقةِ معالجةِ الخطأ ، بأسلوبٍ لا يتعارضُ مع ثقتِهِ بنفسِهِ، وشعورِهِ بتقديري له ، فدفعَهُ هذا إلى مزيدٍ من الإقدامِ والخبرةِ والمهارةِ . "



أيتها الأم .. ماذا فعلت بابنك ؟!

كانتِ الأمُّ تُحدِّثني بحماسٍ عن مشاغِلِها في البيتِ والعملِ ، عندما طَلَبْتُ منها كوبَ ماءٍ . والتفتَتْ إلى ابنِها " خالد " وقالَتْ: " أحضِرْ لعمِّكَ كوبَ ماءٍ . "

وبعدَ قليلٍ خرجَ خالد من المطبخِ وهو يمسكُ في حرصٍ ، بأصابعِهِ العشرةِ ، كوبَ ماءٍ ممتلئًا حتى الحافةِ . وفجأةً تركَتْ أمُّهُ ما كنا نتحدَّثُ فيه ، وصاحَتْ مُؤنِّبةً ابنَها: " ما هذا الذى فعلْتَ ؟! لقد أفسدْتَ السجادةَ بالماءِ .. أنتَ خائبٌ !"

وبعدَ أسبوعَيْنِ ، عدْتُ لزيارةِ نفسِ العائلةِ ، وتعمَّدْتُ أثناءَ الحوارِ أن أطلبَ كوبًا من الماءِ . وعادَتِ الأمُّ تطلبُ من خالد أن يُحضِرَهُ



لى . ودخلَ خالد المطبخَ ، لكنه لم يخرجْ منه . وفجأةً اندفعَتِ الأمُّ إلى المطبخِ ، وسمعْتُ صوتَ صفعةٍ والأمُّ تصيحُ بخالد :" لقد أصبحْتَ عنيدًا ، ولم تعدْ تستجيبُ لأىِّ طلبٍ .."

وعندما عادَتْ غاضبةً ، قلْتُ لها:" اهدئى ، فتصرُّفُكِ فى المرةِ الماضيةِ ، هو السببُ فيما فعلَهُ خالد اليومَ ."

قالَتْ فى استنكار:"هل كنْتَ تُريدُ أن أتركَهُ يُفسِدُ السجادةَ ؟"

قلْتُ لها:" كانَ يجبُ أن تُشجِّعيهِ لأنه أحضرَ الماءَ ، ثم تُوضِّحى له بهدوءٍ أن عليه إنقاصَ الكوبِ فى الحوضِ قبلَ إحضارِهِ ، وبهذا تُعطيهِ الثقةَ بنفسِهِ ، وبقدرتِهِ على تعديلِ سلوكِهِ، بغير هذا الإحباطِ بل الإهانةِ، التى جعلَتْهُ يمتنعُ عن الاستجابةِ لأىِّ طلبٍ منكِ بعد ذلك ."



يبكى ولا يخاف !!

كنْتُ أشاهدُ فى التليفزيون برنامجًا عنوانُهُ " طرائف منزلية " ، وفى إحدى لقطاتِهِ ، رأيْتُ طفلاً فى الشهرِ السابعِ من عمرِهِ ، يجلسُ فى حضنِ أمِّهِ ، وبجوارِهِ لعبةٌ بها أزرارٌ ملوّنةٌ .

ومَدَّ الطفلُ يدَهُ ، وضغطَ على أحدِ الأزرار ، فصدرَ عن اللعبةِ صوتُ بطةٍ تصيحُ : " كواك .. كواك " !!

وكانَ الصوتُ مُرتفعًا ومُفاجِئًا ، فانزعجَ الطفلُ ، وانفجرَ يبكى ، وهو يُسرِعُ لِيُخفِيَ وجهَهُ فى حضنِ أمِّهِ !

وبعدَ لحظاتٍ ، هدأَ البكاءُ وتوقّفَ . وفوجئْتُ بالطفلِ يتّجِهُ ثانيةً ناحيةَ اللعبةِ ،ويمدُّ يدَهُ مرةً أخرى ، ثم يضغطُ على نفسِ الزرِّ الذى سبقَ أن انزعجَ منه !!

وكانَ طبيعيًّا أن يرتفعَ نفسُ الصوتِ العالى ، الذى أصبحَ يمثِّلُ خبرةً جديدةً للطفلِ : " كواك .. كواك " .

وللمرةِ الثانيةِ انفجرَ الطفلُ فى البكاءِ ، تعبيرًا عن نفسِ الانزعاجِ الذى سبقَ أن أحسَّ به ، وعادَ يحتمى فى صدرِ أمِّهِ !

قلْتُ لنفسى : " إن الرغبةَ فى المعرفةِ والاستطلاعِ ، قد دفعَتْ هذا الطفلَ إلى معايشةِ نفسِ الخبرةِ مرةً ثانيةً ، على الرغمِ مما سبّبَهُ

له الصوتُ الغريبُ المُفاجئُ العالى من انزعاجٍ " .

" إن الدافعَ إلى الاستطلاعِ عند صغارِ الأطفالِ ، بل وكبارهم ، أقوى دائمًا من الأذى والمخاوفِ التى قد يُسبِّبُها لهم حبُّ المعرفةِ ، وهذا هو سرُّ تقدُّمِ الإنسانِ . "



مغامرة في سلم مظلم !

ذاتَ ليلةٍ اصطحبْتُ أحدَ أقاربى إلى عيادةِ طبيبٍ مشهور، بالدور الرابعِ فى عمارةٍ حديثةٍ، فوجَدْنا المصعدَ مُعطَّلاً. واضطررْنا أن نتَّجِهَ إلى السلمِ، فوجَدْناه غارقًا فى ظلامٍ شديدٍ. وبعد بحثٍ طويلٍ، عثَرْنا على مفتاح الإضاءةِ.

وعندما ضغَطْنا عليه، اكتشفْنا أنه ليسَتْ هناك مصابيحُ، أو أنها مُحترقةٌ لا تُضِيءُ.

وأمسَكْنا بسور السُّلَّمِ، وأقدامُنا تتحسَّسُ الدرجاتِ ونحن نصعدُ. عندئذٍ فوجِئْنا بأقدامِنا تدوسُ أو تصطدمُ بأشياءَ مختلفةٍ مُلقاةٍ على



الأرضِ ، فأشعَلْنا عودَ ثقابٍ لنتَبيَّنَ طريقَنا . وكم كانَتْ صدمتُنا عندما وجَدْنا درجاتِ السلمِ مُغطَّاةً بطبقةٍ كثيفةٍ من الترابِ والقمامةِ .

وعندما وصَلْنا في النهايةِ إلى بابِ العيادةِ ، وفتحَهُ لنا مساعدُ الطبيبِ ، فوجِئْنا بنورٍ باهرٍ يغمرُ المكانَ ، الذى كان كلُّ ما فيه يتلألأ ، وينطقُ بالفخامةِ والثراءِ !!

والتفتُّ إلى قريبى ، ودارَ بينَنا حديثٌ صامتٌ ، وكلُّ واحدٍ منَّا يسألُ زميلَهُ :

" كيف نطمئنُّ إلى خبرةِ مَنْ يشغلون هذه العمارةَ ، من كبارِ الأطباءِ والمهندسينَ والمحامين ، والذين تكلَّفَتْ مكاتبُهم وعياداتُهم مئاتِ الألوفِ من الجنيهاتِ ، وقد قبلوا أن يتركوا ما هو خارجَ أبوابِهم ، على هذا الشكلِ المؤذِى للبصرِ والصحةِ ؟ !! "

ولولا حاجةُ قريبى الشديدةُ لزيارةِ الطبيبِ تلك الليلةَ ، لعُدْنا من حيثُ أتَيْنا ، بغيرِ أن ندخلَ !!



لغة الوجوه

فى قاعةِ المعارضِ المتَّسعِة بمبنــى الأهرامِ ، وقفْتُ أمامَ لوحةٍ من تصويرِ الفنانِ الدكتـور " رمسيس مـرزوق " ، المُصـوِّر السـينمائِيّ المعروفِ .

إنها صـورةٌ فوتوغرافيـةُ ، يسقطُ فيها الضوءُ علـى وجـوهِ اثنَتَىْ عشرةَ سيدةً . أما بقيةُ الصـورةِ ، فليس فيها إلا درجاتٌ مِن اللونَيْـنِ الأسودِ والرمادِىّ ، فالصورةُ تُعبّرُ عن مجلسٍ للعزاءِ .

استغرقْتُ أتأمَّلُ ملامحَ الوجـوهِ ، فـى محاولةٍ لأن أقرأ مـدى قرابةِ صاحبةِ كلِ وجهٍ للشخصِ الذى اجتمعوا بسببِ رحيلِه .

وكـان أولُ مـا استوقفنى ، وجـهَ تلـك الشـابةِ التـى تتوسَّـطُ الصورةَ ، وهمسْتُ لنفسى :

" لا شكَّ أنها أقربُ النـاسِ إلى الراحـلِ أو الراحلـةِ . " فقد كانتِ العينانِ مُنكسرتَيْنِ تنظرانِ إلى الأرضِ ، والشفتانِ مُنطبقتَيْنِ فـى أسى ، والفمُ يستندُ إلى قبضةِ اليدِ المُمسكةِ بمنديلٍ ، والحزنُ العميقُ على الملامحِ أقوى من الدموعِ المُتجمِّدةِ .

أما تلك التى جلسَتْ فى أبعـدِ مكـانٍ ، فلـم تكُـنْ ملامحُـها الساكنةُ الهادئةُ توحى بشىءٍ . لقد جاءَتْ للمجاملةِ ، و لا شىءَ يربطُها بالراحلِ أو أسرتِهِ .

وهذه التى فى أقصى اليسار ، تحاولُ أن تبدُوَ حزينةً ، لمُجرَّدِ إظهار مشاركتِها أسرةَ الراحلِ فى مشاعرِهم ، فهى أقربُ إليهم من قرابتِها للراحلِ .

وأخيرًا توقَّفتُ أمامَ وجهِ تلكَ الجدةِ العجوزِ ، بنظارتِها السميكةِ ، ووجهِها الذى يبدو كأنه منحوتٌ من الصخرِ . إنها سيدةٌ عانَتْ كثيرًا فى حياتِها ، حتى أصبحَ ما نراهُ الآنَ على وجهِها من حزنٍ وأسى ، مُجرَّدَ قمةِ جبلٍ جليدٍ يختفى مُعظَمُهُ تحتَ سطحِ الماءِ .

قلْتُ لنفسى : " هذا معرضٌ نتأمَّلُ فيه بلاغةَ لغةِ الوجوهِ الناطقةِ . "



حديث الوجه والصوت

كانَتِ الأمُّ تبتسمُ وتضحكُ وهى تقولُ لابنِها ، الذى بلغَ ثمانيةَ شهورٍ من عمرِهِ : " أتعبْتَنى.. لا أعرفُ متى أنامُ بسببِكَ " . ورغمَ



شكوى الأمِّ ، ابتسمَ الطفلُ لابتسامةِ أمِّهِ ، بل ضحكَ وطوَّقها بذراعَيْهِ .

وفى مرةٍ ثانيةٍ ، كانَتِ الأمُّ مُتعَبةً مُرهَقَةً ، فصاحَتْ فى طفلِها: " تعالَ أرضعك !! "، فانفجرَ الطفلُ باكيًا ، مع أنه كانَ جائعًا ، يحتاجُ بشدةٍ إلى الرضاعةِ .

حدَّثَتْنى إحدى الأمهاتِ عن هذَيْنِ الموقفَيْنِ ، فقلْتُ لها :

"لقد فهمَ الابنُ فى المرتَيْنِ الرسالةَ المُوجَّهةَ إليه ، من لهجةِ الصوتِ وملامحِ الوجهِ ، ولم يفهمْ معانِيَ الكلماتِ والجملِ . وكان ردُّ فعلِهِ بالضحكِ أو بالبكاءِ ، نتيجةَ ما فهمَهُ من تلك اللغةِ غيرِ المنطوقةِ ، التى نقولُ بها أحيانًا عكسَ ما نعبِّرُ عنه بالكلماتِ ، ونستخدمُها كثيرًا فى حياتِنا ومع أطفالِنا ، ويستخدمُها أطفالُنا معنا أو فيما بينهم ، وهى لغةٌ أصبحَتِ الآنَ محلَّ اهتمامٍ شديدٍ ممن يدرسونَ أساليبَ الاتصالِ بين البشرِ . "

ثم عرضْتُ عليها كتابًا ، ليس فيه إلا مجموعاتٌ من الصُّوَرِ ، تُبيِّنُ تعبيراتِ الوجهِ وأوضاعَ الجسمِ فى حالاتٍ مختلفةٍ ، مثلِ السعادةِ والغضبِ والشجاعةِ والخجلِ الفخرِ ، لتساعدَ الأطفالَ على إتقانِ التعبيرِ عن أنفسِهم بهذه اللغةِ غيرِ المنطوقةِ ، وأن يُحسِنوا فهمَ الآخرين عندما يتحدَّثونَ إليهم بغيرِ كلماتٍ .

من الذى يثور فى نهاية السباق ؟

منذ ٢٦٠٠ سنة ، والعالمُ يتناقلُ قصةَ "إيسوب" ، القصاصِ اليونانىِّ القديمِ ، التى تحكى حكايةَ " السلحفاة الحكيمة " ، التى تسابقَتْ مع " الأرنب النطاط " !

وكلما أحكى هذه القصةَ ، يضحكُ الأطفالُ كثيرًا من الأرنبِ الذى كان يُجيدُ النطَّ ولا يُجيدُ التفكيرَ ، والسلحفاةِ التى كانَتْ تسيرُ ببطءٍ ، لكنها تتعلَّمُ فى كلِّ يومٍ شيئًا جديدًا . ومن أهمِّ ما تَعَلَّمَتْهُ ، أن



ذلك الأرنبَ كان يشغلُ كلَّ وقتِهِ باستعراضِ قفزاتِهِ العاليـةِ ، فلم يجدْ وقتًا ليفكّرَ .

لذلك عندما سمعَ الأرنبُ أن الدبَّ يسخرُ منه قائلاً : " لا فـائدةَ من استمرارِهِ فى تكرار تلك الحركاتِ المُملَّةِ .. إنه حتى إذا دخَلَ فى اختبار مع السلحفاةِ ، فإنها ستسبقُهُ " ، ظـنَّ الأرنـبُ أن الـدبَّ يتحدَّثُ عن سباقٍ فـى الجرى وليس فـى التفكيرِ ، لذلك سرعانَ ما ذهبَ إلى السلحفاةِ ، يتحدَّاها لكى تُسابقَهُ .



وكلُنا نعرفُ بقيةَ القصةِ ، وكيف أن جهلَ الأرنبِ قد أغراهُ أن ينامَ أثناءَ السباقِ ، مُتصوِّرًا أن السلحفاةَ لا يُمكِنُ أن تسبقَهُ !!

ثم أحكى للصغار ، كيف أن الفيلَ جاءَ فوجدَ السلحفاةِ تقفُ هادئةً مبتسمةً ، بينما الأرنبُ ثائرٌ يسبُّ ويشتمُ .

ولم يقُلِ الفيلُ شيئًا، فسألَهُ الدبُّ : " لقد انتهى السباقُ ، فلماذا لم تسألْ عمن فاز فيه ؟ "

قالَ الفيلُ :" لقد عرفْتُ من غيرِ سؤالٍ ، فالفائزُ ليسَ فى حاجةٍ إلى أن يثورَ ويسبَّ الآخرين !! "

